أولويات التيار الإسلامي المعاصر

د. محمد سيري إبراهيم

مقدمة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده.

وبعد:

فإن الوقت والظرف قد تهيئا لكلماتٍ لهذا التيار العريض في الأمة، بغية مناصحةٍ وتسديد، ومؤازرةٍ وترشيد، وذلك بالنظر في أولويات عامة، ومهمات تحقق مصالح الأمة الخاصة والعامة.

إن التيار الإسلامي السني بمعناه الشرعي أعم من أن يكون جماعة دعوية بعينها، أو فئة متحزبة على نفسها، أو راية خاصة بأهلها، إنه تيار الأمة الجامع، بدعاته وعلمائه، وجماعاته وجمعياته، والتي متى تقاربت واجتمعت، تحقق الخير للأمة وانتصرت.

وفي خضم الحرب الفكرية، والتضييقات الدعوية، والشدائد العملية، تنفتح أبواب من البركات، وتتنسم الأمة عبير انتصارات! فإذا سقطت راية هنا، قامت رايات هناك، ولله الأمر من قبل، ومن بعد.

وفي ثنايا هذه الرسالة حديث عن أهم تلك الأولويات بعد الأولويات التقليدية والأصول الشرعية من الربانية، وتصحيح العقيدة، والتسلح بالعلم، والاتشاح بالوعي، والتحقق بالتربية والتزكية والاجتهاد في الاحتساب،

والجهاد، واستفاضة البلاغ المبين، والسعي للتمكين، وغيرها من الأصول.

وقد تضمنت هذه الرسالة أولويات عشرة، هي:

أولًا: تجديد الدين بالرد إلى الأمر الأول.

ثانيًا: حراسة الثوابت والمحكمات.

ثالثًا: إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

رابعًا: الوعي بمشاريع أعداء الأمة، والتصدي لها.

خامسًا: إيجاد القيادة العلمية لأهل السنة؛ قطريًّا وعالميًّا.

سادسًا: استعادة التيار العام في الأمة.

ثامنًا: تقديم الكيف المنظم على الكم المبعثر.

تاسعًا: أولوية تأهيل الصفوف الثانية وتدريبها.

عاشرًا: صناعة الإعلام، وصياغة الرأي العام.

والله تعالى المسئول أن ينفع بهذه النصيحة، وأن يتقبلها بقبول حسن، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

د. محمد يسري إبراهيم

الانتساب إلى التيار الإسلامي السني:

إن الانتساب إلى التيار الإسلامي السني الجامع يعني: الانتساب إلى الإسلام الصافي عن شوائب البدع، ومخالفات الفِرق، فهو- في حقيقته- انتساب إلى الصحابة، ومن تبعهم بإحسان، وكل من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، ملتزمًا بالإسلام جملة، وبشريعته استسلامًا وانقيادًا، متبرئًا، من كل مذهب بدعي، ومن كل أصل كلي بدعي- فهو من أهل السنة وأتباع السلف.

وعليه؛ فإن الدعوة إلى اتباع السلف وأهل السنة إنما هي دعوة للإسلام المحض، والتزام السنة الخالصة من كل شوب.

قال الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يحرص عليه الإمام جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء...»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»[2].

وأما من كان على منهجهم علمًا وعملًا ولم ينتسب، أو يتسم بشيء من تلك التسميات فهو منهم ولا بد!

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم (ص١٩١).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ١٤٩).

فكل من قام بمقتضيات هذه النسبة الشريفة- بصدق- فقد صار من أربابها، وإن لم يرفع لها شعارًا، أو يرتدي لها رداءً!

وليس لأحد- مهما كان- أن يحتكر هذه النسبة المنهجية الشرعية لنفسه، أو فئته، أو أن يحرم منها غيره، فلا يكافئ بها من أحبه، ولا يعاقب بحرمانها من أبغضه!

فالسلفية- بمعناها الشرعي- تساوي النسبة إلى أهل السنة والجماعة، فكلاهما مصطلح شرعي.

وليس ثمة فرد، أو جماعة متحزبة تمثل السلفية أو أهل السنة والجماعة بمعناها الشرعي في الواقع المعاصر، وإنما يوجد من ينتسب إليها، ويسعى أن يكون من أهلها، ويعمل بمنهجها في الدين كله، وهذا قد يصيب، وقد يخطئ.

ومن أخطأ فأخطاؤه تُحسب عليه، لا على المنهج، ولا تُحسب- بالضرورة- على غيره من الأفراد والدعوات التي تنتسب إلى ذات المنهج.

والمثال الكامل لهذه النسبة هو: جيل الصحابة خير القرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكل من اتبعهم بإحسان فله نصيب من هذا الانتساب المبارك.

صور الوجود الإسلامي السني المعاصر:

الوجود السني المعاصر لا يخرج في الغالب عن أشكال أربعة:

١- جماعات وجمعيات منظمة ومرخصة رسميًّا من الدول.

٢- جماعات منظمة غير مرخصة من دولها.

٣- مشايخ علم وتربية ترتبط بهم جموع من الطلاب.

٤- مشايخ خطابة ودعوة تجتمع عليهم العامة، وجمهور الأمة.

وأما تقسيم التيار السني أو السلفي أو الإسلامي إلى أحزاب متعارضة، وفرق

متقابلة فليس من صنع أهل الإسلام غالبًا، وإنما هو صنع جهات أجنبية، وما يتبعها من مراكز بحثية، ولأهداف لا تخفى!

وأعجبُ شيءٍ: قَطعُ التيار السني المعاصر عن الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف وأهل السنة، واعتقاد أنها إنما ترتبط بابن تيمية أو أحمد بن حنبل فحسب!

وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفسه يقول: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعيَّ وأحمدَ؛ فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة»(١).

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وهو يتكلم عن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقلَّ أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها المذاهب الأئمة الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائلَ معروفةٍ، وصنف فيها، واحتجَّ لها بالكتاب والسنة»(٢).

وبناءً على ما تقدم فإن التيار الإسلامي السني بمجموعاته وجمعياته وشخصياته العلمية والدعوية لا يبلغ أن يكون فرقًا متعارضة أو أحزابًا متناحرة؛ بل أهدافه مشتركة، ووسائله متنوعة، ووجهته واحدة، وهي أن يكون الدين كله لله!

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء (ص٢٤٢- القسم المفقود).

أسباب الحديث عن الأولويات في التيار الإسلامي السني:

إن الحديث عن الأولويات حديث بدهي في أعقاب المراحل والمنعطفات الكبرى، وقد تمخض العقدان السابقان عن أحداث جسام، ومستجدات تستوجب التأمل، ويمكن تلخيص أسباب هذا الحديث عن الأولويات في التيار الإسلامي السني فيما يلي:

أولًا: لوجود حالة عامة من الاستهداف.

ثانيًا: لتدشين حرب عالمية على أهل السنة.

ثالثًا: لوجود مطالبات بالمراجعة والتجديد، وحالات من التراجع والتبديد.

استهداف التيار الإسلامي السني المعاصر:

للحديث عن استهداف التيار الإسلامي السني المعاصر أسباب كثيرة، بعضها مشترك مع تكوينات التيار الإسلامي المختلفة، وبعضها خاص ببعض جماعات وجمعيات هذا التيار.

أسباب الاستهداف المشتركة لمجموعات التيار الإسلامي:

١- مقاومة الأطماع الغربية:

اعتبر الغرب- بعد الحادي عشر من سبتمبر- أن التيار الإسلامي بمختلف تكويناته العلمية، والدعوية والسياسية والجهادية حجر عثرة أمام أطماعه في المنطقة العربية من جهة، وأنه يقف دون تمرير كثير من مخططاته العالمية.

وفي الطليعة من تلك المكونات: المكون السلفي الذي يُعنَى بالمحافظة على الهوية، والمقاومة الفكرية علاوةً على أن كثيرًا من المجموعات السياسية والجهادية في مناطق مختلفة إنما تقوم على قاعدة علمية سنية بالمعنى العام.

٢- مواجهة الحرب العقدية:

لقد ذهب كثير من دهاقنة السياسة الغربية في تصريحات عديدة إلى أنهم يخوضون حربًا عقدية، أو حربًا مقدسة، في استدعاء غريب لنفس الحروب الصليبية، ولقد قال الرئيس بوش الابن عن الحرب- في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر-: «إنها حرب صليبية»(١).

وقال المفكر الأمريكي برنارد لويس: «إنها حرب بين الأديان»(٢).

وقال- أيضًا-: «... وهذا ليس صدام حضارات، قد يكون هذا هو رد الفعل اللاعقلاني، بل التاريخي لخصم قديم على تراثنا اليهودي المسيحي، وحاضرنا العلماني، وانتشارهما على نطاق عالمي»(٣).

وهذه الحرب تستبطن أن الإسلام هو من منع النصرانية من الانتشار، وهو ما يقابِل بعقيدة التوحيد عقيدة التثليث ويبطلها.

وهذا ما فهمه بعض مفكرينا المعاصرين فقال: «الصراع بين الحضارات إنما هو- في جوهره- صراع بين معتقدات، لا بين طبقات وعرقيات»(٤).

٣- السعي في تحصيل أسباب القوة:

فالدعوات الإسلامية بأسرها ساعية في تقوية المجتمعات بدينها وعقيدتها،

---

(١) جريدة الأسبوع المصرية (٢٤/ ٢/ ٢٠٠٣م)، نقلًا عن مجلة دير شبيغل الألمانية في عددها الصادر في (١٧ فبراير ٢٠٠٣م).

(٢) نقلًا عن مقال للنيوزويك الأمريكية، بقلم: زاخاري كاريبل (١٤/ ١/ ٢٠٠٢م).

(٣) الإسلام هو العدوان الأول للإمبراطورية الأمريكية، جريدة الاتحاد، أبو ظبي (٩/ ٣/ ٢٠٠٣م).

(٤) الإسلام لعصرنا، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص١٣٤).

وتسليحها بحضارتها، ودعمها بتراثها وأصالتها في كل ميدان؛ انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،...**»(١).

والغرب يدرك هذا المعنى، يقول صاحب كتاب الإسلام والغرب: «إن استعمال القوة كان تقريبًا معتبراً بالإجماع كخاصية كبيرة وأساسية للدين الإسلامي»(٢).

والتيار الإسلامي له نصيب من ذلك السعي عمليًّا، بعد تأصيله نظريًّا، وهذا ما يستدعي استهدافًا له!

٤- انتشار الدعوة الإسلامية في الغرب:

تعتبر كثير من الدوائر الغربية الكنسية، واليهودية، الوجود الإسلامي السني في الغرب تهديدًا يستوجب المواجهة!

فلقد أطلق جورج هاينز فاين السكرتير الخاص لبابا الفاتيكان تحذيرًا مما وصفه بـ(أسلمة الغرب)!

كما نشرت صحيفة: (لفرانس ويست إكلير) إحصائيات تشير إلى تزايد أعداد المسلمين الغربيين ففي عام (٢٠٠٧م) دخل حوالي (١١٤) ألف مسلم في فرنسا وهولندا، وألمانيا وبلجيكا والنمسا، بحيث إن معدلات الإقبال على الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر قد نمت إلى ثلاث أضعاف ما قبل تلك الأحداث(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) N.Daniel، «Islam and the west» pp. (١٤٦).

(٣) انتشار الإسلام في أوروبا وراء تحذيرات سكرتير البابا، مقال لخالد أبي بكر، موقع إسلام أون =

وفي مقال بعنوان: (عشرات الفرنسيين يُقبلون على اعتناق الإسلام يوميًّا): «وقد قدمت أجهزة المخابرات الأمريكية والأوربية والموساد تقارير تحذر فيها من ارتفاع معدل انتشار الإسلام في الغرب، رغم كل الأزمات التي تحيط بالمسلمين... وأن المسلمين الجدد يعملون على تأدية جميع شعائر وطقوس الإسلام بمنتهى الدقة، ويصبحون أكثر تدينًا من المسلمين بالوراثة!»[1].

وهكذا من يتابع الإعلام الغربي بكل أطيافه، يجد تقريرًا لحقيقة أن أكثر من يتحوَّل إلى دين جديد يختارون الإسلام، مع ما تتضمنه برامج الإعلام هناك من تحريض ملحوظ.

ومما لا اختلاف عليه أن التيار الإسلامي السني في الشرق والغرب يساهم بشريحة معتبرة في دعوة أولئك الغربيين الداخلين في الإسلام.

الأسباب الخاصة بالمجموعات السلفية:

١ - قيادة المقاومة الفكرية:

دارت تقارير مؤسسة: (راند) الخمسة من عام (١٩٩٩م) إلى عام (٢٠٠٧م) على أن الصراع الدائر بين الغرب والإسلام ليس صراع مصالح بالدرجة الأولى، وإنما هو صراع فكري بين منظومتين متكاملتين ومتباينتين تمامًا، فهو صراع بين الأمة المسلمة، والعالم الغربي.

يقول أنجل راباسا- أحد معدي التقرير في عام (٢٠٠٧م)-: «إن الصراع الجاري في العالم الإسلامي اليوم هو صراع فكري»، كما يرى أن ما يدور داخل المجتمع

=

لاين الإلكتروني (٢٧/ ٧/ ٢٠٠٧م).

(١) صحيفة لاكس بريس الفرنسية، كلارشارتيه (٣/ ٤/ ٢٠٠٦م).

الإسلامي اليوم من خلافات إنما هو: «صراع داخل الإسلام لتحديد هُويَّته».

وبالتحديد ركز هذا التقرير على حرب التيار السلفي، فقال: «يجب أن نعمل مع الشركاء الرئيسين من أجل عقد مؤتمر دولي في مكان يحمل دلالة رمزية مهمة للمسلمين- وليكن مثلًا: (غرناطة في أسبانيا)- من أجل أن نعلن عن قيام مؤسسة لمحاربة التطرف السلفي»[١].

ويتحدث التقرير عن التيار السلفي، فيقول: «يرى التيار السلفي: أن المؤسسات الإسلامية يجب أن تتوسع إلى أن تتمكن أعداد أكبر وأكبر من المسلمين في أوربا من الحياة بشكل مستقل من خلال نظام إسلامي غير معلن داخل الدولة العلمانية... إلى أن يقول: أي: إنه يأمل في أسلمة أوروبا!»[٢].

٢- ما يتمتع به الاتجاه السلفي من ريادة تاريخية وحضارية ومصداقية:

إن التيار السلفي اليوم وأمس- برجالاته وجماعاته وجمعياته- إنما هو امتداد لمدرسة عظيمة لا تنتهي مرجعيتها عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا تقف عند حدود الأئمة الأربعة؛ ولا ترتبط بالإمام أحمد بن حنبل خاصة، وإنما هي مشدودة العرى بالرعيل الأوَّل، والقرن المبجَّل من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا مما يجعل هذا التيار ضاربًا في شعاب التاريخ، حاضرًا في كل زمان، مرتبطا بأهل السنة ومن صُلْب الطائفة المنصورة.

وهذا الاتجاه وإن بدا كظاهرة سياسية معاصرة في العقدين الأخيرين، أو تجلَّى في سياق اجتماعي أو ديني إلا أنه لا تفارقه مصداقيته الأخلاقية، ولا

---

(١) تقرير مؤسسة راند عام ٢٠٠٥م، (ص١٤٥).

(٢) تقرير: بناء شبكات مسلمة معتدلة، تقرير مؤسسة راند عام ٢٠٠٧م، (ص٩٣).

انضباطه السلوكي، والغاية فيه- ولو كانت صالحة- لا تسوغ الوسيلة الطالحة.

٣- الحضور العلمي والدعوي الواسع:

وذلك من خلال رموز علمية مرموقة على مستوى الأمة، والأقطار كلًّا على حدة، وحضور دعوي في المساجد والمعاهد والجامعات الشرعية، وعناية بأمور الوعظ والإرشاد.

مع مرابطة على ثغور علمية ومنهجية، ومقاومة لتيارات بدعية، وانحرافات فكرية وعملية عديدة، ومواجهة لتيارات إلحادية، وعلمانية، وتغريبية.

٤- الجماهيرية والقبول العام:

لا اختلاف أن الاتجاه السلفي العام بتكويناته المختلفة يتضمن ثراءً في الكفاءات، وتنوعًا في القيادات، وتعددًا في التخصصات، مع مشاركة في الإعلام، وصعود سياسي متنامٍ، وهو عند اجتماع طوائفه وتكويناته يتمتع بزخم شعبي، وقدرة على الحشد الجماهيري.

وهذا ما يدعو كثيرين إلى استهدافه، والاقتطاع من سواده، والعمل على عدم اجتماع أوصاله فيما بينها، أو بين سائر التكوينات الدعوية السنية أيضًا.

ثانيًا: تدشين حرب عالمية على أهل السُّنة:

نبه الرئيس الأمريكي نيكسون الغرب مبكرًا إلى ضرورة التصدي للخطر الأخضر، وذلك في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي، وانتهاء صلاحية شعار: (الروس قادمون).

ولقد عبَّر نيكسون عن أولئك الأعداء بقوله: «المصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي...

والذين يهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأن الإسلام دين ودولة، وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار»[١].

ولقد اعتقد الغرب- وبحق- أن قاعدة التدين في الشرق الأوسط هي قاعدة تتخذ الكتاب والسنة ومنهج السلف وأهل السنة مرجعية شرعية، تحكم جميع شئونها الدينية والدنيوية.

ومن هنا انطلق الغرب في تقارير منشورة إلى تبني ما سماه بـ(التيار الديني التقليدي) مع دعم خاص لجناحين، أولهما: الطرقي، ثانيهما: الكلامي، باعتبار أنهما الأقدر على التصدي لهذا التيار!

ومنذ ذلك الحين بدأ النفخ في وقود حرب علمية فكرية مسلكية بين جماعات الدعوة السُّنية والصوفية من جهة، وبين السلفية والأشعرية والمعتزلة والرافضة من جهة أخرى، وبين التيار الإسلامي السني بأسره والعلمانية والحداثة والتغريب في نفس التوقيت!

وقد رُصدت مظاهرُ كثيرةٌ لهذه الحرب المعلنة، منها:

١- كتب السَّب والتشهير والتكفير للتيار الإسلامي السني:

وقد تناولها الأستاذ الدكتور محمد عمارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ منتقدًا لها بعد أن عرض نماذج منها، فقال: «تلك نماذج- مجرد نماذج- من الفحش الفكري الذي قدمته وتقدمه سلسلة من الكتب الجمهورية التي تصدر شهريًّا، والتي صدر منها

(١) الفرصة السانحة، لريتشارد نيكسون (ص١٤١، ١٥٢، ١٥٣).

عند كتابه هذه الدراسة أكثر من عشرين كتابًا»[١].

وإذا كان هذا تعليقه على كتب صدرت بمصر عام (٢٠٠٦م)؛ فإن نظائر كثيرة صدرت بالأردن، والكويت، والمغرب، بل وفي السعودية!

٢- الندوات والمؤتمرات:

وذلك لمهاجمة التيار السني بدءًا من ماليزيا (٢٠٠٦م) بالجامعة الإسلامية العالمية مرورًا بالقاهرة (٢٠١٠م)، (٢٠١١م).

٣- التضييق على الدعوات والرموز الإسلامية:

وذلك في أنشطة المساجد وإمامتها ودروسها، والجامعات الشرعية بدءًا من الأزهر، مرورًا بالإمارات، وباكستان، وتغييرًا للمناهج الشرعية في المدارس والجامعات بالمملكة العربية السعودية، وأخيرًا حملات اعتقالات موسعة على كثير من رموز الاتجاه الإسلامي.

٤- الحرب الإعلامية:

وذلك عبر دروس موجَّهة من أشخاص معلومين لمهاجمة الاختيارات السنية في العقيدة والفقه والسلوك، وذلك عبر فضائيات رسمية، وأخرى خاصة.

وغدت عناوين في عدد من الصحف والمجلات مألوفة نحو[٢]:

- السلفيون الخطر الناعم.
- ألغام السلفية تهدد الوحدة الوطنية.

---

(١) فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية (ص٦٩)، قضايا إسلامية، عدد (١٤٢) صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (ص٦٩).

(٢) معاداة السلفية، مقال: د. محمد هشام راغب، موقع الوسط الإلكتروني (٢٣/ ٤/ ٢٠١٠م).

واستُعملت رموز رسمية كبرى في تلك الحرب، فضلًا عن رؤساء جامعات، وعمداء كليات، وشخصيات إعلامية دينية.

وكل ما تقدم يعتبر مسوِّغًا كافيًا لطرح موضوع أولويات الخطاب الإسلامي السني المعاصر.

ثالثًا: وجود مطالبات بالمراجعة والتجديد، وحالات من التراجع والتبديد:

إن المطالبات بالمراجعة والتجديد مطلب لا اختلاف عليه، بل هو سنة من سنن الله في الخلق والواقع.

وقد وُجدت كتابات تعتني بالمراجعات للاجتهادات الفكرية والعملية.

كما أنه في أعقاب الانكسارات والتجارب غير الناجحة تتنادى الأصوات الداعية للمراجعات والتصحيح.

كما أنه بعد الأحداث الهائلة التي مرت بالمنطقة في العقد الأخير، وما وقع فيه من إخفاقات عامة قد لوحظت حالة من التراجع والانحسار، وعُرفت حالات من التحول والانقلاب المنهجي والفكري عند بعض المنتسبين للتيار الإسلامي بشكل عام.

وهذا التحول أوضح لدى الشباب منه لدى الشيوخ.

وتصحب هذه الحالةَ حالةٌ أخرى من الحيرة والاضطراب لدى الكثيرين تقول: ماذا نعمل، وإلى أي شيء ننتهي، ولماذا نخفق؟ وإلى متى؟!

وفي المقابل هناك ضغوط خارجية تنادي بالتجديد تبنتها جهات رسمية مدفوعة من جهات غربية.

«ولا شك أن مصطلح التجديد يُستعمل اليوم للتوصل إلى نقض بعض

عرى الإسلام، وتوهين بعض العرى الأخرى، وإن كان الأصل أن يُرفع شعارًا للمصلحين الصادقين المجددين لِمَا اندرس من معالم الدين»[١].

«فهو عمل لإحياء منارات الدين، ومواجهة لتحريف المحرفين، وسعي للتمكين، وحفظ لصلاحية الشرعية بالاجتهاد المحكم الرصين»[٢].

فلا تناقض بين التجديد والأصالة؛ إذ التجديد المنشود ليس انقلابًا على القديم، أو تغييرًا للثوابت، وإنما هو إعادة تفعيل لها؛ لتؤدي دورها، وتقتضي آثارها، فالتجديد ينفي ما علق بها، ويحررها مما يقيدها، أو يتفلت من مقاصدها!

لكل ذلك فإن البحث في أولويات التيار الإسلامي السني المعاصر- بالمعنى الشرعي لا الحزبي- من الأهمية بمكان!، وتتمثل أهم هذه الأولويات فيما يلي:

الأولوية الأولى: تجديد الدين بالرد إلى الأمر الأول:

إن التجديد أمر شرعي قدري، أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[٣].

والتجديد يتضمن نفيًا:

فهو ينفي: تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

كما يتضمن إضافةً:

---

(١) التجديد في عرض السيرة النبوية، محمد يسري (ص٩).

(٢) التجديد في عرض السيرة النبوية، محمد يسري (ص١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهي: الاجتهاد الذي يقتضي تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد في الواقع من حوادث ونوازل.

وقد عدَّ بعض العلماء المجدِّد هو المجتهد.

وقد قال صاحب عون المعبود رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن معنى التجديد-: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماته ما ظهر من البدع والمحدثات»[١].

فالتجديد عمل لإحياء منارات الدين، ومواجهة لتحريف المحرفين، وسعي للتمكين، وحفظ لصلاحية الشريعة بالاجتهاد المحكم الرصين[٢].

والتجديد المنشود هو المنضبط الذي يقع من أهله، وفي محلِّه.

وهو يعني: العودة بالدين إلى صفاء منابعه الأولى، بعيدًا عن كل نَفَسٍ غريب عن الوحي المعصوم، وكل شوب فلسفي مناقض لحقائق القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وكل انحراف كلامي فتح أبوابًا من الشك والحيرة، بعيدًا عن هدايات الكتاب والسنة، وكل شَطْحٍ طُرُقي، ومسلكٍ بدعي مخالفٍ لما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وخير القرون.

واعتماد منهج منضبط في التلقي والاستدلال، لا يوصف بحرفية، أو سطحية، كما لا يوصف بتحريفات، أو تأويلات غالية!

وهذا التجديد السلفي بدأ من لدن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما ورَّثه للأمة من تحرير علم الأصول؛ ليكون نبراس الاستنباط، ومنهج تقرير الأحكام.

---

(١) عون المعبود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (١١/ ٣٩١).

(٢) التجديد في عرض السيرة النبوية، محمد يسري (ص١٣).

ولقد مرَّ في طريق الاجتهاد والتجديد أفذاذ كبار ذوو أقدار، ومن مختف الأقطار.

والأمة تحتاج في قرنها الخامس عشر إلى تجديد يعيدها إلى القيام بواجباتها تجاه البشرية بأسرها، فهي صاحبة الرسالة الخاتمة، وحاملة مشعل الهداية، وبانية الحضارة، تقدِّم للعالين رسالةَ ربِّ العالمين، سالمةً من كل تحريف، خالصة من كل تزييف.

إن الدعوات الإسلامية السنية تجعل من التوحيد رسالتها، ومن البلاغ وظيفتها، ومن الوحي ومقاصده قبلتها، ومن الولاء للمؤمنين لحمتها، ومن التسامح والرحمة بالمسلمين طريقتها، ترعى التوازن بين الحقوق والواجبات، والغيبيات والماديات، والواقعية والمثالية، تحفظ خصائص الإنسان، وترعى متطلباته في كل زمان ومكان.

إن الانتساب إلى التيار السني هو في حقيقته التزامٌ بواجب العبودية اتباعًا، وقيامٌ بواجب عمارة الأرض إبداعًا، دعوةً إلى التجديد والاجتهاد في الدين من أهله، وفي محلّه، واستمساكًا بالأصول والقواعد، والكليات والثوابت، وانتفاعًا بكل جديد مفيد، وجمعًا بين مصادر المعرفة الدينية والدنيوية، وتحصيلًا لصحة النقل، ولصراحة العقل، وتوافقًا بين الظاهر والباطن، ووعيًا بسنن الله في الخلق والكون، وثباتًا في الأهداف، وتنوعًا في الوسائل والأساليب؛ ليتحقق- من وراء ذلك- التجديدُ قوةً ووضوحًا في المضمون، وجمالًا وقبولًا في الطرح.

فهذه هي السلفية والسُّنيَّة الشرعية، ربانيةٌ تعتز بالهوية، دون انكفاءٍ على الذات، أو تقوقع، وتعتني بالانفتاح على الآخر والتسامح دون تفريطٍ، أو تميع!

وبهذا يكون تفاعل الأمة حضاريًّا وتأثيرها عالميًّا ومنهجها مقنعًا، ومسلكها

وسطًا، وشهادتها على الأمم عدلًا!

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وكل ما يأتي من أولويات إنما هي مرتبطة بالتجديد بأوثق رباط، فهي لا تخرج أن تكون مندرجة تحت عنصر من عناصر التجديد الذي هو:

١- عمل لإحياء منارات الدين.

٢- ومواجهة لتحريف المحرفين.

٣- وسعي للتمكين.

٤- وحفظ لصلاحية الشريعة بالاجتهاد المحكم الرصين.

ومهما قيل في أولوية إصلاح سياسي أو تربوي، فكري أو عسكري، اقتصادي أو اجتماعي، فكل ذلك يندرج تحت أولوية عامة، وهي: تجديد الدين.

ولا يتأتى هذا التجديد إلا باستصحاب معنى خلافة النبي ﷺ في أمته بوراثة علمه وعمله.

قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

فقطب رحي التجديد الرد إلى الأمر الأول، وهو ما أشار إليه المصطفى ﷺ بقوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(١).

وما وضَّحه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «ما لم يكن يومئذٍ دينًا فلن يكون

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

اليوم دينًا»[١].

وما زاده بيانًا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «لن يُصلِح آخِرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولَها»[٢].

فإلى شيء من التفصيل بما يناسب تحديات هذا الزمان، وحاجة أهله إلى البيان.

الأولوية الثانية: حراسة الثوابت والمحكمات:

إن من أهم مهمات التجديد وأولوياته: حراسة ثوابت المِلّة، ومحكمات الأمة في العقيدة والشريعة على حدٍّ سواءٍ!

فلا بد من تحريرٍ وإظهارٍ لتلك المحكمات، ودعوةٍ إلى التزامها والعضِّ عليها، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وإن الأمة اليوم لتقف أمام حرب فكرية معلنة تهدف إلى اختطاف الإسلام باستلاب مضامينه، وعندها يصير الإلحاد فكرًا، وإنكار الثوابت عقلانيةً، والتحلل من معاقد الحلال والحرام، وركوب الفواحش حريةً!

وقد يقع ذلك الكيد الهائل تحت ستار مضلل من مصطلحات ساءت سمعتها ومقاصدها؛ كـ(تجديد الخطاب الديني)، و(الفهم العقلاني)، و(الفكر

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (٦/ ٥٨).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٩٤).

الوسطي)، و(الإسلام المستنير)!... إلى آخر قائمة طويلة من مصطلحات الضلالة، ومعاني الغواية!

فحقٌّ على الدعوات السُّنيَّة أن تجهر بثوابت العقيدة، ومحكمات الشريعة، وأصول الأخلاق، وأن تجلِّي لكل المسلمين محاسن دينهم ودعوتهم، وأن تسعى لتُشيع العلمَ بما لا يسع المسلمَ جهلُه، وما تمس الحاجة إلى بيانه في ظل هجمات إلحاديةٍ شرسة، تشوِّش على حرمات الإسلام وكلياته، وتستهدف صرح الأسرة وبنيان الأخلاق، وتُغِير على مفاهيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتغيِّرَها، ومصطلحات الجهاد والسياسة الشرعية لتبدِّلَها.

فلا بد -إذن- من تحرير الثوابت المطلقة، وهي مواضع الإجماع والأصول الثوابت عند أهل السنة والجماعة، واعتبارها وحدها معقِدَ الولاء والبراء، الذي لا يجوز أن تتفاوت فيها الاجتهادات؛ لقطعية مداركها ثبوتًا ودلالةً، وهي التي تمثل الدين الجامع، والجمل الثابتة التي يجب أن يتفق عليها المنتسبون إلى الإسلام والسنة؛ ولأنها من سبيل المؤمنين، وموضع إجماع السابقين واللاحقين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

كما ينبغي تبيان ما عليه جمهور أهل السنة من الثوابت ولو وقع فيها خلاف اجتهادي يسير لا يضر، والتي يعد الاختلاف فيها نوعًا من الشذوذ أيضًا.

وأخيرًا، فإن من تمام البيان: إشاعة العلم بأنه لا بد من التفريق بين ما يدخل تحت مظلة الخلاف السائغ وما لا يدخل، وما يُقبل من الخلاف داخل مظلة الفقه الاجتهادي وما لا يدخل؛ إحرازًا للأصول وحفظًا لها، وتنبيهًا على السعة

في موارد الخلاف الاجتهادي السائغ، وتحذيرًا من خلط السائغ من الخلاف بما لا يسوغ عقيدةً أو شريعةً!

فحقٌّ على كل دعوة سُنيَّةٍ أثرية أن تبدأ بتعليم ما يجب العلم به اضطرارًا من دين الإسلام، وهو ما لا يسع مسلمًا أن يجهله من العقيدة والأحكام، وهو علم يستوي في معرفته جميع المسلمين، العالم والعامي على حدٍّ سواءٍ.

وحصر تلك المهمات وبيانها والتوعية بها ونشرها بكل سبيل، والتذرع إلى إيصالها بكل وسيلة- من أعظم ما ينبغي تقديمه من الأولويات اليوم بالنظر إلى ما يجري من محاولات الحرب على الثوابت والاختطاف للفكر الإسلامي.

ولا أدلَّ على ذلك من قول وزير الحرب الأمريكي: دونالد رامسفيلد عام (٢٠٠٣م)، ثم أكده في عام (٢٠٠٦م)، وقد دارت رحى آلته العسكرية على بلاد الأفغان، وبلاد الرافدين، فقال: «نحن نخوض حرب أفكارٍ، كما نخوض حربًا عسكرية»[١].

وعلى منواله نسجت وزيرة خارجيته كونداليزا رايس حين قالت عام (٢٠٠٥م): «إننا ضالعون في حرب أفكار أكثر مما نحن منخرطون في حرب جيوش»[٢].

وهو موقف عالمي أكده توني بلير رئيس وزراء بريطانيا حين قال- (٢٠٠٤م) في مؤتمر صحفي-: «إن الوقت قد حان لتتوحد إدارات الحكومة البريطانية من أجل تحقيق النصر في حرب الأفكار»[٣].

---

(١) صحيفة الواشنطن بوست (٢٧/ ٣/ ٢٠٠٦م).

(٢) صحيفة الواشنطن بوست (٢٧/ ٣/ ٢٠٠٦م).

(٣) صحيفة الواشنطن بوست، ديسمبر ٢٠٠٥م.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

الأولوية الثالثة: إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد:

هذه هي الأولوية العالمية للدعوة الإسلامية، وكل دعوةٍ تعتمد مرجعية الوحي وهدي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يجب أن تعي أنها معنية بهذه الأولوية في كل مساعيها.

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقد قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا**»(١).

وقال ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد»(٢).

فخوض المعركة العقدية في الإصلاح مقدَّم على خوض المعركة العسكرية في القتال، فضلًا عن المعارك السياسية، أو غيرها.

والتركيز على هذه الأولوية بإخراج الخلق من عبادة غير الله إلى عبادة الله، ومن ضلال الأهواء إلى هداية الإيمان هو أكبر مصادر القوة ومكامن الفاعلية في الدعوة.

ويلتحق بهذا السبيل: إخراج الغافل من غفلته، والمعاند من عناده، والمستهتر بالحرمات من استهتاره، والعودة إلى حظيرة السنة والاتباع.

إن مواصلة هذا العمل والانشغال به لا عنه سيبقى- بإذن الله- حرزًا من

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٠٢٣) من حديث ربيعة الديلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) تاريخ ابن جرير (٣/ ٥٢٠).

الضعف، وسببًا لبقاء الذكر، وشرفًا لأصحاب الدعوة، وهو مما يصل قلوب الخلق بالدعاة إلى الحق، ويقطع قالةَ السوء، ولسان الفتنة، ويحفظ التوازن السلفي، ويقي الله به من غائلة مؤامرات كثيرة، ويصون قدرة السلفيين على الحشد الجماهيري؛ كضمانة لتحقيق الأهداف، وسببًا لمنع الالتفاف.

إن عالمية الدعوة وخطابها التي عبَّر عنها ربعيُّ بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تؤكد على تجاوز حدود المكان؛ فالدعوة إلى الله لا تستغرق في مكان، ولا تنحصر في موضوع لا تخرج عنه، وهي حين تنطلق تراعي في كل مكان خصوصيته.

فهي ترعى الثوابت، وتمتاز بالسعة في موارد الاجتهاد، فلا تقف على رأي لا يتغير في باب اجتهادي، ولا تجمد على أسلوب أو وسيلة لا ترى سواها، كما لا تتبنى مذهبًا فقهيًّا ناسب مكان النشأة الأولى للدعوة، ثم ترفعه إلى مكان المحكمات، أو القطعيات في كل مسائله وفروعه، فهي لا تخلط بين الموروث الفقهي والأصول العقدية والمنهجية، ولا بين الثابت والمتغير.

تتوسل بكل وسيلة عالمية تكثِّر المنجزات، وتحقق الأهداف متى ما كانت منضبطة بضابط المشروعية.

وهي دعوة عالمية بعالمية هيئاتها وروابطها ومرجعياتها ومؤسساتها في مختلف تخصصاتها، وهي دعوة عالمية تتبنى قضايا المسلمين في العالم، وتواجه الكيد والمكر العالمي في دعوات صراع الحضارات، ووحدة الأديان، والديانة الإبراهيمية... وغيرها.

الأولوية الرابعة: الوعي بمشاريع أعداء الأمة، والتصدي لها:

إن الأمة المسلمة اليوم تواجهها مشاريعُ عدائيةٌ متعددةٌ بتعدد الباطل، ومتلونةٌ بتلون صوره وأشكاله! وبالجملة؛ فإن كل من يقف حجر عثرة دون أن تنهض هذه الأمة على أساسٍ من عقيدتها الواحدة، ووحدتها الجامعة؛ فإنما يقف في صف أعدائها!

ويمكننا أن نحصي عددًا من أعدائها الماديين أصحاب المشاريع الكلية المتناقضة والمناهضة للانبعاث الحضاري لهذه الأمة، كما يمكن عدُّ تحديات أخرى بتجليات فكرية ومعنوية، وإدراك تلك التحديات جميعًا من الأهمية بمكان، غير أن أهم تلك المشاريع المناهضة للأمة ما يلي:

١ - المشروع الصهيوني:

ذلك المشروع يعتبر أكبر تلك التحديات الخارجية للأمة المسلمة، فهو يحمل في طياته العداء الديني والسياسي والحضاري على حدٍّ سواءٍ!

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وتلك عداوة ضاربة في شعاب الزمن، وهي إلى يوم الناس هذا، بل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!

ولتلك العداوة الدينية شق سياسي، يتمثل في اغتصاب الأرض المقدسة، واحتلال فلسطين، وتهجير كثير من أهلها، وتوسُّع استيطاني على أرضها، مع امتدادات استعمارية في الجولان السوري، والجنوب اللبناني، والخارطة التوسعية من النيل إلى الفرات لا تزال حلمًا يسعى الصهاينة إلى تحقيقه!

ولقد تمكن هذا المشروع في السنوات الماضية من تحقيق تفوق عسكري،

وصناعي تقني، وعلمي بحثي، يدعم المشروع بأسره، ويقوي الجانب السياسي الذي لم يعد يستخفي اليوم بتركيع ما حوله من الأنظمة السياسية العربية، والتدخل في إدارتها، وتملُّك ناصية القرار السيادي فيها، مع الإعلان الرسمي بالتطبيع، والقبول بالقدس عاصمةٍ يهوديةٍ عبر سياسة فرض الأمر الواقع!

٢- المشروع الصليبي:

وهو مشروع قديم قِدَمَ تلك الحروب الصليبية التي امتدت لقرنين من الزمان، والتي تعددت صورها، وتعاقبت أشكالها العسكرية، حتى قُوِّضت الدولة العثمانية، واقتسمت أرضها الإسلامية، ثم لم تتمكن من الاستقرار طويلًا، فاتخذت شكلًا جديدًا للاحتلال السياسي للقرارات، والاستعمار الفكري للعقول، والتبعية الاقتصادية والتقنية للشرق كله!

وقد مهَّد لذلك شخصيات متغرِّبة الثقافة، وتيارات أدبية إلحادية وافدة على الحضارة العربية والإسلامية!

وتظاهر المشروع الصهيوني مع الصليبيِّ بشكل سافرٍ في اغتصاب فلسطين، وفي وأد حركات التحرر والمقاومة، وأخيرًا في تطويق الربيع العربي الثائر على الطغيان الموالي لأعداء الأمة.

٣- المشروع العلماني:

إن المشروع العلماني هو ربيب المشروعَيْنِ: الصهيوني، والصليبي، وهو ما جرت صناعته ليخلف الاستعمار الغربي في بلاد الشرق، حاكمًا عليها، مواليًا لأعدائها، متبرئًا- في الأغلب- من عقيدتها وشريعتها، مغتربًا- بالجملة- عن ثقافتها وحضارتها!

وتتعدد صور هذا المشروع وتجلِّياته؛ ففي الجوانب السياسية هو استبدادي ديكتاتوري محارب للشريعة، وفي الجوانب الفكرية هو قومي، أو ليبرالي، أو هما معًا، يُعلي من نظرية السيادة للشعب قانونيًّا، ولا ينصاع لها إذا خالفت مصالح الغرب، ويعتنق الديموقراطية، ويكفر بها إذا أتت بخصوم المشروع الصهيو صليبي في الأمة الإسلامية!! بل وينوب عنه في التصدي لكل مشروع إسلامي في الشرق، في كل مجال سياسي، أو اقتصادي، أو ثقافي، بحيث يصبح الشرق بلا هوية، ولا مشروع جامع، قابعًا تحت خط الفقر، والتخلف، والمرض، والتبعية، والعجز المطلق! محرومًا من كل حقوق الإنسان إلا التصفيق للطغيان! ومما لأة صنائع الفساد والاستبداد!

وهو مشروع يعتني- كلَّ العناية- بالترويج للإلحاد، والتسويق للشبهات، والتأجيج للشهوات والرذيلة، والتنفير من الطهر والفضيلة، ومحاربة الأمة في مناهجها التعليمية، ومنابرها الإعلامية.

٤- المشروع الصفوي:

وهو مشروع ديني سياسي- أيضًا- يجتمع مع المشاريع الثلاثة، متعاونًا معها متى كان الخصم سُنيًّا، فإن لم يكن كذلك كانت له مواقفه المستقلة!

وهو مشروع يتمدد بقوة داخل الديار السُّنِّية، من إندونيسيا إلى موريتانيا، ويزعم اليوم إحكام قبضته على العراق وسوريا واليمن ولبنان! ويفاخر بحضوره المؤثر في معظم دول الخليج العربي!

ويتشدق بأنه ورث تركة تلك الدول في إفريقيا، وصنع له أتباعًا هم بمثابة وقود وذخيرة حروبه المقبلة مع السُّنَّة في ديارهم!

وقد اشترى له أبواقًا من الجهلة والمأفونين في بلاد السنة؛ ليفتحوا له أبواب الاختراق والتشييع، والتثوير لأهلها على السنة وأهلها!

وهو ساعٍ- في ذات الوقت- في اختراق كل مشروع إسلامي مقاوم عبر دعمٍ سخيٍّ يفتح باب ضلالةٍ وغيٍّ.

٥- المشروع التفكيكي:

وهو مشروع يتمالأ عليه أصحاب المشاريع الأربعة السابقة، ويستعملون فيه فِرق الغلاة والجفاة على حدٍّ سواءٍ! وغايته تفكيك المفكَّك، وتجزيئ المجزَّأ، وإضعاف اللُّحمة بين طوائف وفئات الأمة.

فالغلاة في التيار الجهادي يُستعملون من قبل أصحاب المشاريع الأربعة جميعًا؛ للقضاء على الجهاد السني!

وقد حصل هذا- بجلاء- في العراق وسوريا وغيرها، بحيث تخضد شوكة الجهاد السني وأهله، ويتفرق جمعهم، وقد وقع ذلك!

والغلاة في التيار السلفي الدخيل يُستعملون من قِبل أصحاب تلك المشاريع للقضاء على التيار السلفي الأصيل؛ بتبديع رجالاته، وتشويه رموزه، ورميهم بالتكفير تارةً، وبالتمييع أخرى! ووصمهم بكل نقيصة تفضُّ الناس عنهم!

وقد تُوظَّف فِرقٌ وطوائفُ اعتزالية، أو أشعرية غالية، وأخرى صوفية طُرُقية غالية في هذا الصراع التفكيكي؛ لتعميق الفجوات، وتوسيع دائرة الخلافات، وإحياء ما اندثر من التيارات- على نحو ما لوحظ في مؤتمر جروزني بالشيشان (٢٠١٦م)-؛ ليعود التدين في الشرق الأوسط عقلانيًّا فلسفيًّا، أو طُرُقيًّا خرافيًّا!

وقد تُستدعى الإثنيات والعرقيات في البلد الواحد، وتثار قضايا القوميات

والأقليات لمزيد من تقطيع الأواصر!

وقد تُزرع بذور الفُرقة بين طوائف دعاة أهل السنة، عبر أفكار خاطئة حول الجماعة ولزومها، والوحدة وأصولها، وعبر التنافس العملي في أرض الدعوة، بحيث يتحول التنوع إلى محنة وفتنة، لا منحة وعصمة!

٦- المشروع الباطني:

وهذا المشروع أخطر تلك المشاريع على الدين؛ لأن غايته تبديل الدين الحق، وتغيير عقيدة المسلمين، وذلك بتبني فِرق الباطنية تارةً، والفلسفات الإلحادية تارةً أخرى، والترويج لديانة موحَّدة تحت شعار: (الدين الإبراهيمي)، أو (دين الحب والسلام)، وهذه خلاصة ما ينادى إليه من وحدة الأديان!

وفي هذا المشروع تُغيَّب الشرائع، وتُسقَط التكاليف، وتذوب الحواجز بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والحلال والحرام، ويُتوسل بعقيدة الحلول والاتحاد، ويُستعان بغلاة أهل البدع ورؤوس الضلالة العالميين، وتُنفق في بناء مؤسساتٍ مشبوهةٍ الملايين!

والدعم العالمي الهائل الذي لقيته فِرق: النصيرية والإسماعيلية والدرزية واليزيدية- وما تزال- ما هو إلا بعض دلائل الحرص على ذلك المشروع، وأما النشاط الذي يُصنع لترويجها في مؤتمرات دولية وإقليمية، وفعاليات متعددة في قلب العالم العربي والإسلامي- فحدِّثْ عنه ولا حرج!

وهذا المشروع ليس بغائب ولا بعيد الصلة بالمشاريع السابقة، بل هو في مركز الاهتمام وبؤرة الانسجام.

وإذا أدرك أهل السنة خطورة تلك المشاريع جميعًا، واجتماعها على حرب

السنة وأهلها؛ فإن البحث في السبل المشروعة لاستبانة سبل المجرمين، وحماية أهل الإسلام من كيد المبطلين- من أعظم الواجبات في هذا الزمان، وكما أن العلم بالخير سبب إلى فعله؛ فإن العلم بالشر سبب إلى منعه.

وامتلاك دعوات أهل السنة لرؤية صحيحة واضحة عن الأمة -بمجتمعاتها، ومشكلاتها، وتحدياتها- يمهِّد السبيل لتحديد وسائل علاجها دون فوضى، أو تخبُّط، ويمكِّن أهل القرار من اتخاذه في الوقت المناسب، وبالأسلوب المناسب.

ومن لم يعرف الواقع في الخلق، والواجب في الحق لم يعرف أحكام الله عز وجل في عباده، ومن الخطأ البيِّن: الاستعاضة عن طلب هذا الوعي بأي أمر آخر، ولو كان صدقَ البذل والتضحية؛ لأن البذل لا ينتج ثمرته، ولا يعطي نتيجته إلا لو استوفى شروط إنتاجه، وانتفت موانعه.

وأخيرًا: فإن هذا الإدراك يمنع من تكرار الأخطاء في ساحة العمل لدين الله، والأصل: أنه «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»[1].

وستبقى الأمة بقيادة أهل السنة مرابطةً على ثغور الدين الحق، قائمةً بأمر الله، ومراغمةً لأعدائه، وهي بانتظار قيام المشروع العالمي لأهل السنة؛ ليأخذ مكانه في هداية البشرية، وإبطال كيد الكائدين.

الأولوية الخامسة: إيجاد القيادة العلمية العامة لأهل السنة والجماعة:

وهي مرجعية أهل العلم الكبار، الذين بهم تجتمع الكلمة، وتركن إلى فتاويهم في الشأن العام الأمة، ممن عُرفوا بمواقفهم في إنكار المنكرات،

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والتصدي للأخطاء والأخطار والملمَّات، وقدَّموا الولاء للأمة على الانتماء إلى حزب أو جماعة.

إن التغييب الظالم لأهل العلم الربَّانيين عن مشهد التوجيه العام، وتغيُّب طائفة أخرى لانكفائها على شأن علمي خاص، وانسحاب كثيرين من الشأن العام، وبُعدهم عن صياغة المواقف الشرعية في المستجدات والنوازل العصرية- مهَّد السبيل لتصدر غير المؤهلين، وفتح الطريق لصناعة وتبنِّي قيادات جماهيرية مزيفة!

ومما يؤسف له: أن المؤسسات الدينية الرسمية، وهيئات كبار العلماء، ودور الإفتاء قد أصبحت مكفوفة اليد في الشأن العام في السنوات الأخيرة!

وإن قُطرًا واحدًا اليوم لم تجتمع فيه القيادة العلمية على أحدٍ بعينه، ولا على مجموعةٍ علميةٍ مؤسسيةٍ بعينها! مع سعي حثيثٍ لتشويه العلماء ومؤسساتهم المستقلة.

ومما تمس إليه حاجة الساحة العلمية والعملية للأمة اليوم: وجود الدراسات الاستراتيجية والارتيادية من خلال كفاءاتٍ ومراكزَ بحثيةٍ متخصصة، تتمتع بالاستقلالية عن الضغوط المادية والمعنوية كافة؛ لتدير وتوظف الطاقات، وتتابع العمل في مواجهة الحرب التي تشنها منظومة الأعداء، وتجلي طريق النصر والظفر للأمة.

إن اجتماع العلماء والدعاة الربانيين في كل بلد بما تيسر من مؤسسات علمية مستقلة عن الضغوط والإملاءات من شأنه: أن يجمع العباد على كلمة ناصحة، وفتيا راشدة، ويواجه الحرب على الثوابت، ويعزز من ثقة المجتمع بعلمائه ودعاته.

وإيجاد قيادةٍ علميةٍ موحدةٍ في كل بلد يهيئ -بإذن الله- لظهور القيادة العلمية العامة لأهل السنة!

الأولوية السادسة: استعادة التيار الإسلامي العام في الأمة:

وذلك باستعادة وجود هذا التيار وتأثيره وإدارته، وهو إنما يتحقق بتقارب الدعوات والتجمعات والشخصيات السنية، برؤاها وأفكارها النظرية، وتوجهاتها العملية، لتنسق في الشأن العام مواقفها، وتوجه من خلال المؤسسات الجامعة طاقتها؛ لتحمي ثوابت الملة، وأصول العقيدة والشريعة.

إن للتيار الإسلامي العام مؤسساته المجتمعية التي حمت الأمة- في معظم تاريخها المجيد- من تغوُّل حاكمٍ، أو تسلُّطِ طائفة متغلِّبة.

ومؤسساته في العلم والفتيا والدعوة والاحتساب، وفي الصناعة والاقتصاد والإعلام، كما هي في السياسة والإدارة، والتكافل ورعاية المحتاجين والوقف، وصناعة الكفاءات في كل ميدان.

ومن أسف؛ فإن الاستعمار ما عمل على شيء كما عمل على تمزيق تيار الأمة الجامع، وإضعاف رأيها العام، بحيث تسلط على كثير من المؤسسات فأضعفها:

- بنقل تبعيتها للدولة العلمانية القومية.
- وبالقضاء على موردها المالي المستقل، وهو: الأوقاف.
- وبسنِّ القوانين التي تمنعها من أداء رسالتها.
- وبتولية غير الأمناء ولا الأكفاء عليها!

واستعادة وجود وتأثير التيار الإسلامي العام هو- في الحقيقة- تفعيلٌ لعقيدة الولاء بين المسلمين، وتربيةٌ على الولاء لأهل السنة، مع الاختلاف في

المنحى العملي، والاهتمام الدعوي، وهو تعزيزٌ لفقه الاجتماع، وتربيةٌ للأجيال على التصالح والوفاق، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وتحذيرًا من مغبة المخالفة قال تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وإيجاد تيار الأمة الجامع اليوم فريضة على كل مسلم، وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والولاء بين أهل الإيمان لا تقطعه راية دعوية، ولا انتماءات حزبية، ولا تكدره اجتهادات إصلاحية.

والانتماء للأمة وإلى السنة مقصد وغاية تقدم على الانتماء لجماعة ودعوة؛ إذ هو وسيلة.

إن التيار الإسلامي العام يمثل ضرورة واقعية عملية لمواجهة تحديات صهيونية، وصليبية، وعلمانية، ورافضية، ومشاريع تجزيئية، تضرب بقوة في تماسك المجتمعات، وتهدد الجماعات والدول على حدٍّ سواءٍ!

ومن دروس الواقع السني وعبره: أنه لا انفراد لطائفة، أو حزب مهما بلغت قوته بالتمكين وإقامة الدين.

إن التيار الإسلامي العام يمثل تجديدًا دعويًّا للخروج من مأزق وأزمة، وكما مثلت فكرة العمل الجماعي بعد سقوط الدولة العثمانية الجامعة حلًّا تجديديًّا؛ فكذلك التيار العام يمثل تجديدًا مستحقًّا في العمل الجماعي، وتطويرًا في الجهد الدعوي، وتقويةً لجانب الولاء للحق، وتغليبًا لمصالح الأمة، وتنميةً لفقه التطاوُع بين أهل السنة.

إن التيار العام يضبط التعددية في الساحة الدعوية والسياسية على حدٍّ سواءٍ؛ ليكون التعدد نعمة لا نقمة، تتعدد معه أسباب القوة، من غير أن تتفرق به الكلمة في مهمَّات الأمة! ويمنع من تغليب مصالح جزئية على المصلحة الكلية، ويمهد لاجتماع كلمة أهل الحل والعقد في كل بلد من كل عالم متبع، وذي أمر مطاع.

وهكذا فإن الطاعات الجماعية على مستوى الأمة لا بد لها من اجتماع العقول والسواعد والأموال في إطار من مؤسسات التيار العام في كل بلد وإقليم؛ وبهذا تخطو المجتمعات المسلمة بإيجاد التيار الإسلامي الجامع في كل بلد خطوة مهمة في طريق الأمة الواحدة.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وصفوة القول: إنه كما على الأفراد والكيانات السعي في تحقيق اجتهاداتهم الإصلاحية؛ فإن على الجميع واجبًا مهمًّا في إقامة التيار العام الجامع لأهل السنة، وإدارة مؤسساته وأعماله ونشاطاته المشتركة، التي تُقوي جانب المحبة والنصرة والولاء بين أهل الإسلام والسنة، وتدفع عن البلاد والعباد الفتن والمحن.

الأولوية السابعة: إطلاق خطاب النهضة الشامل:

إن الأمة مدعوة اليوم لإصلاح فكري يقود إلى عمل تجديدي ثوري في المجالات كافة!

وذلك كيما تستعيد الأمة ثقتها بمنهجها الحضاري، وتترسخ فيها إرادة النهضة، وتعمل فيها أدوات التغيير، وهو ركن مهم في بناء الحضارة، وتحصيل الصدارة.

وتشييد هذا الخطاب يحتاج بحثًا في أسباب التخلف ومسيرة الضعف، ويستدعي طرحا لسؤالات النهضة، كما يستلزم إجابات مفصلة، ليست من قبيل

الإجابات المجملة، ولو كانت مقبولة ومبشِّرة! نحو: (الإسلام هو الحل)، أو: (الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة).

فلا غنى بالنهضة عن مناهج مفصَّلةٍ، ومسالك مدلَّلةٍ، ومراحل معلَّلةٍ.

ومهما كانت المعوقات من الجهل، والتخلف، والفقر، والمرض، والاستبداد، وقلة الموارد البشرية المؤهَّلة- فلا يصلح ولا يجمل بالأمة أن يبقى أمل النهضة حلمًا تستدعيه من الذاكرة؛ لتستروح به فحسب!

فالواجب الانتقال من ذرف الدموع إلى إيقاد الشموع!

ولا بد من تجاوز حدة الخلاف الفروعي لأجل حشدٍ عملي إيجابي.

وحتى تعبر الأمة إلى ميدان استعادة الثقة بالأطروحات النظرية، والشعارات والأمجاد التاريخية؛ فلا مناص من إيجاد أنموذج عملي ملهِم! يمثل بديلًا حضاريًّا واعدًا، يسهل على الجموع الانحياز إليه، والسعي في إنجاحه عمليًّا، عوضًا عن النماذج المعاصرة المرفوضة والمنحرفة دينيًّا، والساقطة والمشوهة حضاريًّا!

وكل خطاب شامل للنهضة ينبغي أن يتضمن- في مذكراته التفسيرية- مشاريع عملية، وبرامج تنفيذية، يرابط من خلالها صناع النهضة على ثغور الأمة الإيمانية مرابَطَتَهم على ثغورها العملية، في سياق حضاري ينجز الإصلاح السياسي، ويحقق التنمية المستدامة، ويبسط سلطان العدالة الاجتماعية، ويلحق بركب التقنية.

ومن خصائص خطاب النهضة الشامل: أن يعتني بالتأصيل والمنهجية التي تنطلق من الوحي كتابًا وسنة، وأن يتعامل مع الواقع بمشكلاته وتحدياته، وأن يفيد من معطيات العصر التقنية، وعلومه الإدارية، في سعي للتجديد لا يخل

بالثوابت، ولا يجمد على الموروث من الوسائل؛ اتصالًا بالأصل، ورعايةً لمقتضيات العصر.

ومن الخصائص: العالمية، التي هي من خصائص الإسلام ورسالته، وعالمية رحمته.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومما يؤكد عالمية خطاب النهضة: عالمية الصراع المفروض على الإسلام ونبيه قديمًا وإلى اليوم!

ومن أسف؛ أن يفتقد أهل السنة راية عالمية في ظل ارتفاع رايات عالمية للمبطلين، من كل ملة ونحلة!

والعالمية تتجاوز حدود المكان؛ فلا تنحصر في بلد، ولا تقصر خطابها على إنسان، فهي ترعى خصوصية المحكمات، وتفتح باب السعة في موارد الاجتهاد، لا تُلزِم بمذهب فقهي بعينه، ولا تخلط بين الوسائل والمقاصد، وتسعى لعالمية الروابط والمرجعيات، وعالمية المنافحة عن قضايا الأمة، وتحررها من كل فساد واستبداد.

ومن الخصائص: أن خطاب النهضة يرفض الشعور بالدونية والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، كما يرفض الانعزال والانسحاب من المواجهة الحضارية!

فلا ذوبان في العولمة، ولا إعراض عن المنافع المعاصرة.

فخطاب النهضة إنساني المنطلق، يبحث التعارف والتعاون على البر، وينفتح على المخالف بوعي إيجابي.

وأخيرًا: فلا غنى عن مشاركة مجتمعية واسعة، تكثِّر الخير وتقلِّل الشر، وتحذر

من الوقوع في حبائل الباطل، عبر ممارسة عملية، ومشاركة اجتماعية منضبطة، تبني المؤسسات الإعلامية والاقتصادية، وتتحرر من كل تبعية، وتقيم البرهان على حرص النهضة على هوية واستقلال مجتمعاتها، وتحقيق الرفاهية لمواطنيها.

الأولوية الثامنة: أولوية الكيف المنظَّم على الكمِّ المبعثَر:

لم تُمدح كثرة لذاتها؛ بل ذُمَّتْ إذ كان أصحابها لا يفلحون، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] وقد مُدِحَتِ القِلَّةُ المؤمنةُ حيث كانت شاكرةً، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[سبأ: ١٣]، ومُكِّنَ لها؛ إذ كانت مستضعفةً، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[الأعراف: ٨٦]، وغَلَبَتْ عدوَّهَا بإذن ربها، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ٢٤٩].

والقلَّة المنظمة المحكِمة لأمرها تنتصر- بإذن الله- على الكثرة المبعثرة في عملها، وأولوية الدعوات مع التركيز في جذور البناء، قبل التوسع والانتشار في الفضاء، «... **وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ**»(١).

والتعاونُ لنصرة دين الله، والاجتماعُ عليه واجبٌ شرعيٌّ، ولا ينبغي أن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٨٢)، وأبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، وابن ماجه (٢٨٢٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يكون محلًّا للخِلاف، وإن جرى الخلاف سائغًا في حكم الانتماءِ لطائفة متحزِّبةٍ من طوائف الدعوة إلى الله تعالى في الواقع المعاصر.

وقد دلَّت على وجوب التعاون والاجتماع جملةٌ من النصوص الشرعية العامة والخاصة، والقواعد الفقهية والمقاصدية والأصولية، كما أنه حاجةٌ واقعيَّةٌ، ومسألة فِطْرِيَّةٌ اجتماعيَّةٌ، وتَشْهَدُ لهذا وقائعُ السيرة النبوية، وعهودُ السلف الصالح قولًا وعملًا.

وحقيقة التجمعات الدعوية: أنها وسيلةٌ شرعية لإقامة الواجبات الكفائية.

ولا شك أن هذه التجمعات تتفاوت في طريقة إدارتها، وأسلوب توجيهها، وأسماء الوظائف فيها، إلا أنها- وعلى الجملة- لا تخرج عن قاعدةٍ وقيادةٍ، من خلال تناصُحٍ وتشاوُرٍ، ثم التزامٍ بطاعةٍ في حدودِ ما قامت لأجله هذه التجمعات، يكون هذا بين الشيخ والتلاميذ في التجمعات العلمية، كما يكون في مؤسسات الدعوة الرسمية، وجماعاتها الأهلية والشعبية.

والأصل: أن تتكامل هذه الجهود الجماعية، وأن تتطاوع هذه الفئات الدعوية؛ لتنتهي إلى إخراج أهل الحل والعقد في الأمة، والذين يُفوَّض إليهم عمومُ النظر في التحديات العامة، والمصالح الكلية للأمة الإسلامية.

فلا غِنى بالدعوات عن علم الإدارة المعاصر، وعلم السياسة الشرعية؛ لتكثير المصالح الدعوية؛ من انتظام الأعمال، والإفادة القصوى من الرجال، وترشيد الجهود، وتنسيق المواقف العملية، وإقامة الشورى الإيمانية، وضمان انتقال الخبرات، وتراكم التجارب، واستمرار العطاء، وتحصيل أسباب النجاح والتمكين، وتَوَقِّي المعاطب، واجتناب المفاسد.

وكل دعوة راشدة تقوم على: ركيزةِ عملٍ جماعيٍّ، وتتمتع بقبولٍ وإقبال جماهيريٍّ- لا بد لها من تخطيط دعوي، وتدريبٍ عملي، ثم يأتي العمل التنفيذي، ليأتي معه وبعده التقويم القياسي، والذي يعين على التطوير الذاتي.

والخطوة الرئيسة في الإدارة: هي التنفيذ الذي سبقه تخطيط وتدريب.

ومن معالم التنفيذ المهمة: التنظيمُ وحُسْنُ الإدارة، والدعوة التي تدير أعمالها بطريقة منظمة هي أحرى الدعوات بحسن استثمار الطاقات، وتوجيه الجهود لتحقيق الأهداف في أقل وقت، وبأكمل أداء؛ ذلك أن النجاح قرينُ النظام، وأن الفشل ربيبُ الفوضى.

وكل عملٍ ناجحٍ تقف خلفه إدارةٌ تُحْسِنُ تحديد الأهداف، وتحويلها إلى خطة تُرْسَمُ بدقة، وتضع لها برامج، يقوم بها رجال مؤهلون ومدربون، وتتابعهم إدارة واعية تُعلِّم وتُشجع، وتُحاسب وتُشاور، وتُشارك في حَلِّ المشكلات وتَجَاوُزِ العقبات.

وحقيقة الإدارة التنظيمية أنها: وسيلةٌ ناجحةٌ، وأداةٌ ناجعةٌ في تحصيل المقاصد، وإحراز النتائج، وكما هي موهبةٌ، فهي علمٌ، وخبرةٌ، وفنٌ، ودُرْبَةٌ.

والإدارة الدعوية مطلوبة شرعًا طلبَ الوسائلِ، لا الغاياتِ، وهي مسئوليةٌ وتكليفٌ، لا غُنْمَ فيها ولا تشريفَ، وهي مطلوبةٌ سياسةً طَلَبَ الذرائعِ، لا المقاصدِ، وكما تحتاجها الطائفةُ فلا يَستغنِي عنها الداعية الفرد في تنظيم وقته، وإدارة جهده لاتخاذ المواقف المناسبة.

والقائدُ الإداري هو: من جمع بين القوة والأمانة، وبين الكفاءة والديانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

واستئجار الأقوى أولى، والقوة في كل ولاية بحسَبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، والدُّرْبَةُ على الطعن والضرب، والكَرِّ والفَرِّ، والقوة في الحكم بين الناس ترجِعُ إلى العلم بالعدلِ الذي دل عليه الكتاب والسنة، والقدرة على تنفيذ الأحكام والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألَّا يشتريَ بآياته ثمنًا قليلًا، وتَرْكِ خشيةِ الناس(١).

وفي العمل الدعوي الإداري حقوق وواجبات؛ إذ كل حقٍّ يقابله واجب، ولا تصلح مطالبةٌ بالواجب قبل أداء الحق.

وفي العمل الإداري شورى تُسَدِّدُ الرأي، وتقوِّم العمل، وقد قال الله تعالى- لنبيه ﷺ-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وبهذا عَمِلَ النبيُّ ﷺ مع الصحابة في المهمات كافَّةً، حتى قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدًا أكثرَ مشورةً لأصحابه من رسول الله ﷺ»(٢).

وفي العمل الإداري نفحة إيمانية، تُقَدِّمُ القدوةَ، وتُعَلِّمُ الأسوةَ، وتحارب الهوى، وتُحقق العدل، وترعى الأمانة، وتملأ الدعوةَ ربانيَّةً.

وفي العمل الإداري تقويمٌ دوري على أسس من الربانية والموضوعية؛ لاكتشاف الخطأ، وإصلاح الخلل، وضمان النمو، واستمرار العمل، وممارسة النقد الذاتي.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/ ٢٥٣).

(٢) علقه الترمذي بصيغة التضعيف بعد حديث (١٧١٤)، ووصله عبد الرزاق (٩٧٢٠)، وأحمد (١٨٩٢٨)، والبيهقي (١٨٨٣٨)، وقال الحافظ ابن حجر- في فتح الباري (١٣/ ٣٤٠)-: رجاله ثقات إلا أنه منقطع.

الأولوية التاسعة: أولوية تأهيل الصفوف الثانية، وتدريب الكفاءات الواعدة:

سبق القول بأنه قد تعرَّضت كثير من التجمعات الإسلامية إلى ما يشبه العقمَ الإنتاجيَّ للصفوف البديلة، وعانت من ضعفٍ في تصعيد الكفاءاتِ الواعدة، ولذلك أسباب كثيرة من المهم الوقوف عليها:

فمن هذه الأسباب: التحول إلى جهة محو الأمية العلمية، دون العناية بالعمق المنهجي، والتأصيل العلمي لدى كثيرٍ من الممارسين للدعوة والتعليم، وقد يدخل في هذا: انتقاءُ كتبٍ معاصرةٍ تمتاز بالسهولة، وربما السطحية- أحيانًا- وعدمُ تعليمِ منهجيةٍ تُحَرِّرُ مسائلَ الخلافِ، وتُحْسِنُ عَرْضَهَا وطَرْحَهَا بطريقةٍ تُربي الملكةَ الفقهية.

ومن الأسباب: الملاحقةُ والتضييقُ الأمني الذي أفضى إلى إغلاق معاهد إعداد الدعاة في بلاد كثيرةٍ؛ كمصر، والمغرب، وسوريا، وتحويل عددٍ منها إلى إدارات الأوقاف التي عملت على تغييب قيمتها، وفضِّ الناس عنها، أو تدريسِ مناهج ومقرراتٍ تؤصِّل لمذهبياتٍ مخالفة.

ومن الأسباب: قِلَّةُ العناية بالجوانب التربوية داخل المحاضن العلمية؛ مما أضعف التربية على العمل بالعلم، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، والتأسي بالمثل الكامل.

ومن الأسباب: انصرافُ عددٍ من المشايخ عن المساجد والمحاضن إلى الفضائيات-اختيارًا أو اضطرارًا- وهو أمر ترتب عليه ضعفُ ما يُقَدَّمُ لطلبة العلم في المساجد والفضائيات معًا.

ومن الأسباب: اتساع نطاقِ العمل الدعوي، وتنوع المجالات، وتعدُّد

التخصصات، وتعطُّش الجموع لمزيد من الزاد والعطاء.

وبناءً على ما تقدم؛ فإنه لا يصح ولا يصلح الاعتمادُ- بعد الاتساع- على شخصياتٍ آسرةٍ، وقياداتٍ كبرى فحسب، ولا شك أن التعليم والتربية يقتضيان مخالطةً طويلةً، وعلاقاتٍ ممتدةً، فلا بد من همزة وصلٍ بين الأجيال، وهم أفراد تلك الصفوف الثانية من طلبة العلم والدعاة النابهين، الذين قد يُعتمد عليهم في متابعة التعليم، واستمرار التقويم.

ولا شك أن ما وقع في السنوات العشر الأخيرة يمثِّل تجريفًا علميًّا، وتدهورًا تربويًّا، وضعفًا في الصفوف الثانية غير المؤهَّلة.

ثم تبرز قضية أخرى، وهي: قضية التدريب في العمل، والتدريب في ساحة الدعوة هو الذي يسدُّ الثغرة بين الدراسة النظرية في الكليات والمعاهد الشرعية، وبين الممارسة العملية في المساجد والمراكز الدعوية، والمدارس والمحاضن التربوية والأعمال الإعلامية.

ولا شك أن انفصال الجانب العلمي عن العملي مكمنٌ من مكامن الداء، وسبب من أسباب الخلل في الواقع المعاصر.

ولقد كان أسلافنا الصالحون يدرِّبون ناشئتهم بين أيديهم في ساحة التلقي الأولى (المساجد) ففيها تُتَلقَّى العلومُ النظرية، وتُرى وتُسمع وتُمارس التطبيقات العملية، فكان علمُ الدعوة تأصيلًا وتنظيرًا يُتلقَّى مع عملها ممارسةً وتطبيقًا؛ بمشافهةِ الشيوخِ، ومخالطة العلماء، وبالممارسة بحضرة الكبار، وبالتقويم الحاضر، والتوجيه الناجز.

ومع تقدُّمٍ في الزمان وتبدُّلٍ في الأحوال انفصل التعليم عن التدريب، وافتقر

التنفيذ إلى التأهيل.

والداعيةُ المؤهَّل هو: الذي تلقَّى تدريبًا يُمكِّنه من مواجهة الناس في المسجد إمامًا معلمًا، وفي الدرس مُرَبِّيًا مرشدًا، وفي مراكز الدعوة والتأثير إداريًّا ناجحًا، وقائدًا ميدانيًّا موفَّقًا.

وبسببٍ من ضعف العناية بالتدريب يتحمل خمسةُ بالمائة من الدعاة عبء الدعوة، ويبقى أغلبهم في مقاعد المتفرِّجين، أو المعطَّلين، ولأجل هذا القصور تنكفئ الدعوات على نفسها أكثر من انفتاحها على غيرها، بحيث يصير الخطاب داخليًّا في معظمه.

إن الدعوات السُّنية الناجحة هي التي تحمل أبناءها على التأهُّل العلمي، وتضم إلى ذلك: العنايةَ بالصلاح الذاتي، والممارسة العملية، والوعي بالتراتيب والسياسات الإدارية والتنظيمية.

ومن اللافت للنظر: أن كلَّ أمرٍ ذِي بالٍ لا بُدَّ من تدريبٍ ومِرانٍ عليه، وتأهيلٍ لممارسته، فسياسةُ الخلق وهدايةُ الأنام قد تبدأ من رعي الأغنام، فـ«**مَا بَعَثَ اللَّهُ نبيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء رَعْيَ الغنم قبل النبوة: أن يحصل لهم التمرُّنُ برعيها على ما يُكَلَّفونه من القيام بأمر أمتهم»(٢).

ومن قَبْلُ لـمَّا مضى قَدَرُ الله في موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالتصدِّي لفرعونَ الطاغية جرى تدريبُهُ تدريبًا ربانيًّا، وتأهيلُهُ تأهيلًا إلهيًّا، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، فلما

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٤/ ٤٤١).

حانت ساعة البعثة جاء خطاب التكليف متدرِّجًا من جهة، ومدرِّبًا من جهة أخرى، فيؤمر بإلقاء العصا، ثم تنقلبُ أمام عينه حيةً تسعى، ثم يأخذُها بيمينه، فتنقلبُ إلى عصا تارةً أخرى، ثم ينزع يدهُ فتخرجُ بيضاءَ من غير سوءٍ آيةً أخرى، كل ذلك قبل أن يَقَعَ أمامَ الخلق؛ لئلا تبهرَ روعةُ الآيةِ موسى نفسَهُ.

وفي سيرة النبي المصطفى ﷺ تدريبٌ لأصحابه على الدعوة بين يديه وبعيدًا- أيضًا- عن ناظريه، فربما قضى بعضُ أصحابه أمامَهُ، وبإذنه[١]، وربما عبَّر بعضهم الرؤيا بين يديه، وبأمره[٢].

وبين يدي عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تدرَّب أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على القضاء، وتحت ناظري عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعلَّمَ وتدرَّبَ شريحٌ القاضي على أصولِ التقاضي، والفصلِ بين الخصومات.

ودَرَّبَ أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أهلَ جامعِ دمشق على تلاوة وتجويد القرآن، وكان أهل حلقته في المسجد يزيدون عن ألفٍ وسِتِّمِائَةٍ![٣].

وعلى هذا درج السلف الصالح فَعُرِفَ في حلقاتهم العَرِيْفُ والمُعيد، وهو الذي تدرَّب على إعادة درس الشيخ بعدَه للطلبة، وقد عُنِيَ المربُّون سلفًا بتدريبِ من يربونهم بالمخالطة والمشاركة، فتارةً تكون التربية على القيام، وأخرى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثالثةً على الدعوة والخطابة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (١/ ٦٠٦، ٦٠٧).

الأولوية العاشرة: أولوية صناعة الإعلام، وصياغة الرأي العام:

لا يستطيع منصف أن يتجاهل حقائق الأرقام حول صناعة الإعلام، ففي آخر إحصائية رسمية مسجلة بنهاية عام (٢٠١٠م) بلغ عدد الهيئات العربية التي تبث، أو تعيد بث قنوات فضائية على شبكاتها (٤٧٠) هيئة، منها: (٢٦) هيئة حكومية، و(٤٤٤) هيئة خاصة، وهي تبث، أو تعيد بث (٧٣٣) قناة متعددة الأهداف، ومختلفة الأصناف والأطياف، مستعملة في ذلك سبعة عشر قمرًا صناعيًّا[١].

والجمهور المصري من عام (٢٠٠١م) تبلغ نسبة متابعته للقنوات الفضائية بشكل إجمالي (٩٩،٥٪)، منهم: (٢,٥٠٪) بصفة منتظمة، وهذه الشريحة في ازدياد منذ ذلك العام، إلى أن وصلت إلى (٧٥٪) هذا العام (٢٠١١م)[٢].

كما أن نسبة المشتركين العرب في موقع: (Face book) بلغ قبل الثورات العربية مباشرة، وبنهاية ديسمبر (٢٠١٠م) نحو: (٢١,٣) مليون مشترك، وتضاعف هذا العدد بنهاية عام (٢٠١١م)[٣].

والإسلاميون بشكل عام- والسلفيون منهم بشكل أخص- يجب أن تتغير نظرتهم إلى الإعلام؛ إذ الدعوة إلى الله تعالى إعلام بشرعه، ودلالة على دينه وهديه، وقد قال أحد كبار السلفيين في العصر الحديث، وهو الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنجح الطرق في هذا العصر، وأنفعها: استعمال وسائل الإعلام؛ لأنها

---

(١) الموقع الرسمي لاتحاد الإذاعات العربية: (www.asbu.net).

(٢) دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف الجمهور، د. هويدا مصطفى، بحث من سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، تونس ٢٠٠٨م.

(٣) صحيفة الشرق الأوسط (٨/ ٢/ ٢٠١١م).

ناجحة، وهي سلاح ذو حدين»[١].

والإعلام في الإسلام عبادة جليلة محكومة في غايتها ووسيلتها بأحكام الشريعة المعظمة، ومقاصدها المكرمة، شعاره: النطق بالكلمة الطيبة، ورعاية قضايا الأمة المسلمة، فهو خيِّر في صناعته، خيِّر في أهدافه ومراميه، خيِّر في غاياته ومساعيه، والفضل ما شهدت به الأعداء.

لقد أعدت جامعة: (تل أبيب) دراسةً موسَّعة عن الفضائيات الإسلامية، ونشرت منها مقتطفات مجلة: (لوبون) الفرنسية، ونقلها موقع الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية في إبريل (٢٠٠٧م)، جاء فيها: «إن الفضائيات الإسلامية تأتي في مقدمة الأسباب التي تؤدي إلى التدين عند الشباب المسلم، حيث أكدت تلك الدراسة: أنه بسبب هذه الفضائيات أصبح أكثر من (٨٥٪) من الفتيات المصريات يرتدين الحجاب، و(٦٠٪) من الشباب يحملون في حقائبهم القرآن الكريم!! وهذا خلاف ما كانوا عليه قبل عشر سنوات!! وهذا ما يهدد أمن إسرائيل!!»[٢].

لقد تخطى الإعلام دور المؤثر على الرأي العام؛ ليتحول إلى صانع مهم له، وأصبح أخطر الأدوات التي تشكل الخريطة الفكرية والثقافية- على حدٍّ سواءٍ- مع الخريطة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية التي تسود العالم[٣].

---

(١) فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز، جمع: د. محمد الشويعر (٢/ ٤٥٢).

(٢) أثر الفضائيات على المراهقين والمراهقات، د. خضر بن كامل اللحياني بعنوان: الفضائيات الإسلامية وأثرها على التزام الشباب المصري - جامعة تل أبيب ٢٠٠٥م، (ص١٤١، ١٤٢).

(٣) الإعلام الإسلامي.. محاذير وتنبيهات، بحث مقدم إلى مؤتمر: (السلفيون وآفاق المستقبل، =

ومن يملك الآلة الإعلامية المناسبة في عالم اليوم هو من يفرض على الناس كيف يفكِّرون، وماذا يختارون، عن طريق كل وسائل الإبهار، والخداع البصري والسمعي، وغيرها.

ولقد عانى التيار الإسلامي في الفترة الأخيرة من الإعلام في العالم بأَسْره وداخل البلاد العربية معاناةً شديدة؛ حيث عمل الإعلام- الممول غربيًّا، ومن أصحاب المصالح- على تشويه صورة الدعاة لدى المجتمع بأسره، واستُعملت في هذا السبيل كلُّ وسائل الخداع والتضليل، وأثَّر ذلك على الحياة السياسية، بحيث ساهم في إسقاط مرشحين سياسيين، وتشويه وجه الأحزاب الإسلامية، ونبز التوجه السُّنِّي والسلفي بتهم الإقصاء، والعنف، والظلامية، وغيرها من الإفك المفترَى.

وفي نفس الوقت دارتِ الآلةُ الإعلامية التغريبية لتروِّج- بطريقةٍ دعائيةٍ هجومية- للتيارات السياسية الليبرالية واليسارية على حدٍّ سواءٍ، حتى غدت البرامج الانتخابية التي تتبناها تلك الأحزاب مِن رسمِ محترفي وسائل الإعلام[1].

وعلى حدِّ قول (جيرالد زالتمان): «إذا لم يكن الغزو الإعلامي أداةً لنا فسيكون حتمًا أداةً علينا»[2].

كما يجب أن نتحول من دائرة ردِّ الفعل إلى الفعل؛ ذلك أن صاحب الكلمة الأولى إعلاميًّا هو صاحب الكلمة العليا والمؤثرة غالبًا.

=

مجلة البيان)، د. مصعب الطيب بابكر (ص٧٩)، وبحوث المؤتمر.

(١) السيطرة الصامتة، لنورينا هيرتس (ص١٢٧)، عالم المعرفة ٢٠٠٦م.

(٢) نقلًا عن مقال: الخداع البصري السمعي في الإعلانات التجارية، لسمير عابد، مجلة: أهلًا وسهلًا، فبراير ٢٠٠٥م.

والإسلاميون يتعين عليهم أن يكون بيانهم الإعلامي حاضرًا في القضايا التي تجدُّ، وإلا تلقَّى الناس عن غيرهم، فالإسراع في بيان الرأي يفيد كثيرًا في التأثير على الناس(١).

وكما أن الفضائيات، ووسائل الإعلام الإلكترونية وسيلة فعالة في صياغة الرأي العام، فهي- أيضًا- خيار معرفي، وبديل دعوي، يقوم على عولمة الثقافة الإسلامية، وإشاعة الفكرة والممارسة الإيمانية، وليس يبعد التأمل في دور الفضائيات الإسلامية المعاصرة في تحريك الشعب المسلم إيمانيًّا وعمليًّا نحو التغيير الإيجابي الذي يعم بلادًا عربية كثيرة في عالمنا اليوم.

وبالجملة؛ فإنه بقدر تملُّكِ التيار الإسلامي السني لناصية الإعلام، وأخذِهِ بمجامع المبادرات الإعلامية يكون حضوره فاعلًا، ومشاركته المجتمعية مقبولةً ومتقَبَّلَةً، ولا بد للإعلام الإسلامي اليوم أن يخرج إلى آفاق مجتمعية واسعة في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، كما هو في المجالات الدينية، أو التعليمية.

وتبقى تحديات مهمة في هذا الصدد الإعلامي، منها: القدرةُ على تقديم إعلامٍ احترافي جذَّاب، ومنضبط في نفس الوقت، والخروج إلى فضاء الأمة، بدلًا من التقوقع في بوتقة الجماعة، أو الحزب، وتقوية جانب التخطيط الارتيادي للأعمال، والمؤسسات الإعلامية الإسلامية، وتفعيل هذه المؤسسات؛ لاستعادة المبادرة، والريادة الحضارية للأمة الإسلامية.

---

(١) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، لمحمد موفق الغلاييني (ص١٠٠)، دار المنارة ١٩٨٥م.

الفهرس

مقدمة ٥

الانتساب إلى التيار الإسلامي السني ٣

صور الوجود الإسلامي السني المعاصر ٤

أسباب الحديث عن الأولويات في التيار الإسلامي السني ٦

استهداف التيار الإسلامي السني المعاصر ٦

أسباب الاستهداف المشتركة ٦

١- مقاومة الأطماع الغربية ٦

٢- مواجهة الحرب العقدية ٧

٣- السعي في تحصيل أسباب القوة ٧

٤- انتشار الدعوة الإسلامية في الغرب ٨

الأسباب الخاصة بالمجموعات السلفية ٩

١- قيادة المقاومة الفكرية ٩

٢- ما يتمتع به الاتجاه السلفي من ريادة تاريخية وحضارية ومصداقية ١٠

٣- الحضور العلمي والدعوي الواسع ١١

٤- الجماهيرية والقبول العام ١١

ثانيًا: تدشين حرب عالمية على أهل السُّنة ١١

١- كتب السَّب والتشهير والتكفير للتيار الإسلامي السني ١٢

٢- الندوات والمؤتمرات ١٣

٣- التضييق على الدعوات والرموز الإسلامية ١٣
٤- الحرب الإعلامية ١٣
ثالثًا: وجود مطالبات بالمراجعة والتجديد، وحالات من التراجع والتبديد ١٤
الأولوية الأولى: تجديد الدين بالرد إلى الأمر الأول ١٥
الأولوية الثانية: حراسة الثوابت والمحكمات ١٩
الأولوية الثالثة: إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد ٢٢
الأولوية الرابعة: الوعي بمشاريع أعداء الأمة، والتصدي لها ٢٤
١- المشروع الصهيوني ٢٤
٢- المشروع الصليبي ٢٥
٣- المشروع العلماني ٢٥
٤- المشروع الصفوي ٢٦
٥- المشروع التفكيكي ٢٧
٦- المشروع الباطني ٢٨
الأولوية الخامسة: إيجاد القيادة العلمية العامة لأهل السنة والجماعة ٢٩
الأولوية السادسة: استعادة التيار الإسلامي العام في الأمة ٣١
الأولوية السابعة: إطلاق خطاب النهضة الشامل ٣٣
الأولوية الثامنة: أولوية الكيف المنظَّم على الكمِّ المبعثَر ٣٦
الأولوية التاسعة: أولوية تأهيل الصفوف الثانية، وتدريب الكفاءات الواعدة ٤٠
الأولوية العاشرة: أولوية صناعة الإعلام، وصياغة الرأي العام ٤٤
الفهرس ٤٩